٢ ــ من شجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظة باشا

المشهد السابع :

الملكة ، أيبك ، أقطاى ، بيبرس ، قلاوون . يدخل سنجر .

سنجر : هذا ابن مطروح

الملكة : أجاء ؟

سنجر : أجل

الملكة : فأد

خله ورحب بالوزير الشاعر

قد عاد آخر رسلنا ولعلنا

نُهدَى بأنباء الرسول الآخر

(يدخل جمال الدين بن مطروح)

الملكة مستمرة:

خيراً جمال الدين

ابن مطروح : خيرٌ لم يزل

يندَى على الستر الرفيع(١) الطاهر

الملكة : ماذا وراكَ ؟

ابن مطروح : تركت الأمَ عصبة(٢)

فكأنما خُلقوا بغير ضمائر

الملكة : صفْ ما رأيت وقائعاً ومشاهداً

وانقل لنا — لا تقتضب — ما قيلا

ابن مطروح : أبلغت أنباء التمرد

الملكة : ساقها

أخواك قبلك

ابن مطروح : فاسمعي التفصيلا

لم يكفهم عصيانهم وعروقهم

بل أوسعوا أنصارنا تقتيلا

(١) لقب من ألقاب شجرة الدر .

(٢) إشارة إلى أمراء الشام .

(الملكة في مصر)

أنعرضوا للصالحية(١) ؟

ابن مطروح : من نجوا

منهم توارَوا في البلاد فقلولا

أخذوهمو والليل ضارب ستره

في غِرة أخذا هناك وبيلا

الملكة : شرفا شيوخ الصالحية معشر ان

تنسى لكم ذاك الدم المطلولا —

من مات في شرف الجهاد فإنهُ

حيٌّ ، وأودى من يعيش ذليلا

(أقطاى في نفس)

يا ملكة الوادي جيوشك دوَّخت

تلك البلاد وأهلها فتكاعسَ

في كلِّ موضع حافرٍ من أرضهم

أثرٌ لخيلك بالفوارس تزحمُ

الملكة : صبرا أمير الجند ، إن لم تُحسم الـ

أحداثُ بالحسنى إذن فتقدم —

إيهٍ جمالَ الدين فارجع للذى

تروى

ابن مطروح : نفضتُ لك الخطير

الملكة : فأتمم

ابن مطروح : خلفتهم عزموا على الرُّحل

الملكة : فما

ت الرأى

أقطاى : استبق الحوادث واعزم

ابن مطروح : وتركتهم قد أجمعوا أن يبعثوا

وفداً بشكواهم إلى المستعصم(٢)

الملكة : أإلى الخليفة يُهرعون؟!

ابن مطروح : أجل

أيبك : فما

يبغون؟

(١) الصالحية : فريق نسب الملك الصالح من المواليد لشجرة الدر .

(٢) الخليفة ببغداد .

الملكة : يبغون اعتزالي فاعلم

أبيك : كيف السبيل ! ومصر حولك تفتدى
وتذود عن أستار عرشك بالدم
هذى بلادٌ نحن سادتها

الملكة : أصطنع
صبراً ولا يعجل لسانك تندم
(تبدو الملكة وكأنها عادت فالكت حاشيتها)
لو أنهم قصدوا الخليفة وحده
قلنا — وإن لم ينصفوا — لم يسرفوا
لكنهم ركنوا إلى أعدائنا
مستنصرين بهم ولم يتعففوا
(دهشة وتهامس من الجميع)

بيرس : مولاتنا !

أبيك : إنى الذى قلت

الملكة : اعدأوا
هذا اليسير الزر مما نعرفُ

أبيك : هل حالفوا أعداءنا ؟

الملكة : بل أوفدوا
شعراءهم فتوددوا وتلطفوا

أبيك : مولاتنا ، إن صح ذاك فإنه
عارٌ يجللهم فلا يتحرَّفُ

الملكة : إن كنت فى شك فهذى كتبهم
بالمخزيات وبالخيانة ترعفُ
وعدوا الفرنجة بعض مصرَ نقل لهم
الله مانع مصر مهما ترجفوا
(تخرج مكتوبين من صدرها وتطلع عليها رجالها)

أبيك : أتتأذنين ؟

الملكة : أجل

أبيك : فكيف اسطعت أن
تصلى لهذى الكتب ؛ هل تأنقى ؟
(الملكة بعد فترة صمت)
أفضت إلينا مرغريت مليكة الـ
ـفرنج بالأنباء ، قلت فبرهنى
لم يُرضها أنى هتكت فأسرعت
وسعت إلينا بالدليل البين
فإذا بكتبهمو وتوقيعاتهم

أبيك : يا للخيانة والغدر المعن !

الملكة : لم تسألونى لم خصصتُ بذلك السر الخطير
أمراؤهم كتبوا لإخوة زوجها الملك الأسير
قالوا لهم حتام صبركم على ذل الدهور
ان تنقذوا الشرف الرفيع بغير جيشكم الغير
فثبوا على مصرتهن، وتذلُّ فى الأمد القصير
قالوا وهل تقوى النساء على مصاولة الذكور

أبيك : أكذا ؟

الملكة : أجل فاسمع فلم تعلم سوى الزر اليسير
وعدوهمو جنداً يؤازرهم مؤازرة الظهير
من أجل ذاك رأيت يا أعطاى إطلاق الأسير
سيرون بأس الثانيات وبأس ربات الخدور

ابن مطروح : أعداؤنا كثرٌ

أبيك : أنا مكرم
إن لم نبت بضغائن وحقود
لو قد بقينا جبهة مصرية
لم نخش عادية الخطوب السود
أقسمتُ « بالمنصورة » العظمى التى
شهدت مجالى نصرك الشهود
وبكل شبر من ثراها خالد
بدماء علج أو دماء شهيد
أقسمت لن تُجتاح مصرُ وأنت من
أبطالها فى شكة وجنود
(الملكة مخاطبة الوجودين)
سيجيئكم أمرى

بيرس : أتأذن وبة الـ
ـتاج السنى

الملكة : أذنت

بيرس : عز مكانها

الملكة : يا قوم ضبط النفس أكرم خلة
ونجاح كل سياسة كتمانها
عزيز أباظة